الثقافة رافعة العلاقات بين البلدين

الإمارات والهند.. نموذج للحوار الحضاري الخلاق

تتخذ مسارات التبادل والتعاون الثقافي ما بين الهند والإمارات أشكالاً عدة، تتبلور من خلال شتى أنواع الآداب والفنون المختلفة من شعر، ورواية، وتشكيل، ومسرح، ومعارض كتب وترجمات، ناهيك عن الندوات والمؤتمرات واللقاءات الكثيرة التي تعزز من تطوير وتفعيل هذه العلاقة، وتعمل على إثرائها بمشاريع وحوارات بين البلدين.

الشارقة ـ عثمان حسن:

أحد الأجنحة الهندية في معرض الشارقة للكتاب 2011

احتفالية واسعة بالهند ضيف شرف معرض الشارقة للكتاب2011

رواية هندية مترجمة إلى العربية

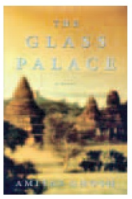

«القصر الزجاجي» لأميتاف غوشي

تجارب تشكيلية هندية لافتة تهتم بنقل جماليات البيئة الإماراتية

من المهم هنا، التأكيد على قدم وعراقة العلاقات بين الإمارات والهند، والتي تتأسس على قواعد ثقافية واقتصادية مبنية على الاحترام المتبادل، ويعزز من هذه العلاقة كون الهند بلداً قريباً جغرافياً وتاريخياً من منطقة الخليج، وهي كما توصف، على تماس مع القوس الحضاري والإنساني للثقافة العربية والإسلامية.

تهتم الثقافة في الإمارات بالتعرف إلى نظيرتها في الهند، ففي حقل الترجمة نقل مشروع «كلمة» التابع لهيئة أبوظبي للثقافة والتراث الكثير من العناوين المعنية بالثقافة الهندية، وعلى سبيل المثال ترجم الشاعر د. شهاب غانم قصائد للشاعر الهندي واستهداناندان دشر 22 مجموعة شعرية، وترجم 16 مجموعة عن عدة لغات وعددا من الكتب في النقد الأدبي، وعبر ساتهداناندان جديها عن سعادته بهذه المبادرة، مؤكداً على أن اللغة العربية تذكر بتراث شعري متفرد يكن له كل إعجاب وتقدير.

نشاطات مشروع «كلمة» كثيرة ومتنوعة، فقد سبق وأصدر (ترجمان الأوجاع) للكاتبة الأمريكية هندية الأصل جومبا لاهيري، من ترجمة مروة هاشم، وتتألف من تسع قصص قصيرة كتبتها المؤلفة أثناء دراستها في جامعة بوسطن، صدر «ترجمان الأوجاع» لجومبا لاهيري، عام 1999، وصاحبته حصلت على جائزة «بوليتزر في الأدب»، في 2000.

في السياق ذاته، أصدر «كلمة» في يناير/كانون الثاني 2015 «الهند في العصور الوسطى.. دراسة حضارة» للمؤرخ الهندي عرفان حبيب، والكتاب عبارة عن دليل مختصر للحضارة الهندية القديمة، ويتناول بطريقة سلسة الجوانب الثقافية المتعددة للهند في فترة زمنية تمتد ما بين (600 و1750م)، ويناقش عدداً من الجوانب المرتبطة بثقافة وحضارة الهند، وترجمه إلى العربية أحمد عبدالعزيز العباسي.

وضمن نشاطات مشروعي «كلمة» و«قلم» واهتمامهما بالثقافة الهندية، فقد دشنا في 2012 سلسلة من الكتب الصادرة باللغة العربية والهندية والأوردية في المركز الثقافي الهندي العربي في نيودلهي، جاء ذلك ضمن إطار الاحتفاء باليوم العالمي للغة العربية، وضمت المبادرة الكثير من العناوين أبرزها: (في أرض قديمة) لأميتاف غوش، و(مقولات يوغا بتاجلي) لسوامي براباهافانندا، و(مسلمو الهند.. بين التطرف والاعتدال) لمشير الحسن، و(عصر الهند.. كيف سيكون القرن الحادي والعشرون هنديا بامتياز) لبافان كومار فرما، و(حكايات الذكريات: قصص قصيرة من الهند) و(اختراع الهند، قصة حياة جواهر لال نهرو) وغيرها الكثير.

وفي الشق الذي يبرز الثقافة الإماراتية، ترجم مشروع «قلم» عدة إصدارات إماراتية إلى الهندية واللغة الأوردية لنحو 10 أدباء إماراتيين، منها «باص القيامة» للكاتبة روضة البلوشي، و«المرأة، لمنى آل علي، و«منيرة» لمريم ناصر، و«ضوء يذهب للنوم» لابتسام المعلا، و«مريم والحظ السعيد» لمريم الساعدي، مثل هذه المبادرات، تمثل بداية لمشروع كبير في نقل الثقافة الهندية إلى العربية والعكس صحيح أيضا.

ويعتبر التعاون بين هيئة أبوظبي للسياحة والثقافة والمركز الهندي العربي، قادماً على قدم وساق من خلال مشروع كلمة للترجمة ومشروع قلم لدعم المواهب الإماراتية، وهناك سلسلة من المشاريع التي نفذ بعضها، وتشمل عناوين في الدراسات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية للهند الحديثة، وترجمة الأدب الإماراتي للغتين الهندية والأوردية.

في معارض الكتب، شاركت هيئة أبوظبي للسياحة والثقافة في معرض نيودلهي الدولي للكتاب في فبراير/شباط 2012 بإصدارات كثيرة، وشارك في جناح الهيئة في المعرض كل من دار الكتب الوطنية وجائزة الشيخ زايد للكتاب ومشروع «كلمة» للترجمة، وكذلك مشروع قلم فضلاً عن شركة «كتاب» المعنية بتنظيم معرض أبوظبي الدولي للكتاب.

تضمنت مشاركة جائزة الشيخ زايد للكتاب في معرض نيودلهي ندوة ثقافية بعنوان «العلاقات الثقافية والأدبية بين الهند والعالم العربي»، وجمعت أسماء مميزة من المتخصصين، منهم: الدكتور شهاب غانم الشاعر والمترجم الإماراتي، والدكتور رامـا كريشدان رئيس الدراسات الشرق الأوسطية في جامعة جواهر لال نهرو.

الثقافة الهندية كانت ضيف شرف معرض الشارقة للكتاب في عام 2011، وهو العام الذي سلط الضوء على أشكال وافرة من المنجز الأدبي الهندي في الرواية والقصة والشعر فضلا عن مشاركة أكبر عدد من دور النشر الهندية في هذه التظاهرة.

كان القارئ الإماراتي والمقيم على موعد مع تنوع وثراء الثقافة الهندية في المعرض، لاسيما في الرواية الهندية التي وصفت بأنها تقف في صدارة المشهد الأدبي العالمي، برموزها الكبار مثل، شوبها دي، وشاشي تارور، وفاسوديفان نير، ورسكين بوند، وموكوندان، وجيشبري ميرزا، وأرون سوري وغيرهم الكثير.

وقد شملت قائمة الكتب الهندية في المعرض مؤلفات لهؤلاء الكتاب، ومن بينها على سبيل المثال، رواية جديدة للكاتب أميتاف غوشي أصدرتها دار كولينز الهندية بعنوان «القصر الزجاجي»، وصفت الرواية بأنها رائعة ومثيرة وتتحدث عن ثلاثة أجيال في ولاية مانيلدي، ومنها مثلاً كتاب (الخالدون في ميلوحة)، وصدرت عن دار ويستلاند الهندية للكاتب أميش، كما عرضت دار هاربر كولينز كتاباً للمؤلفة كمالا داس التي توفيت قبل ست سنوات، وهي من ولاية كيرلا الهندية اعتنقت الإسلام قبل وفاتها، والكتاب تحت عنوان «كلوسر» وهو عبارة عن مجموعة من القصائد والأحاديث النثرية.

اشتمل المعرض آنذاك على العديد من العناوين، منها (هل يعرف قلب أمه) عبارة عن قصة للكاتبة أروان سوري، وتتحدث عن فكرة الطفل المعاق لدى العائلة، وتتجح الكاتبة في إثارة التعاطف مع حالة الطفل وتناقش سوري في قصتها الكثير من المعتقدات التي تطال الثقافة الهندية.

وحضرت في المعرض أيضاً كتب الهندية شوبها، التي وصلت إلى قائمة أفضل المبيعات في الهند، وهي من ضمن 100 شخصية الأكثر تأثيراً في الهند، ومؤخراً حازت شوبها على جائزة فرنسية رفيعة وهي المرأة الملهمة 2011 وكتبها متاحة في أكثر من 15 لغة عالمية.

في ذات السياق، وفي الشعر على وجه الخصوص، شهدت قاعة المؤتمرات في إكسبو الشارقة في المعرض حضوراً للشاعر الهندي المتميز (أو. إن. كوروب) الذي قرأ من ديوانه «نهاية اليوم»، مجموعة من القصائد، التي أبهرت الحضور بما فيها من شفافية ورقة في التصوير، وكوروب شاعر غنائي من كيرلا الهندية حاصل على أرفع جائزة «جانبيت» في العام 2007، كما تسلم في العام 1998 أكبر جائزة تمنحها حكومة الهند واسمها «باد ماشري»، وحصل على الدكتوراة الفخرية من جامعة كيرلا، وهو معروف لمواطنيه باعتباره قامة شعرية عظيمة وقصائده تمتاز بالغنائية وشفافية الكلمات.

من جانب آخر، يمكن رصد ملامح من الثقافة التشكيلية الهندية في الإمارات، وتعتبر من المشاركات القوية، على صعيد التجارب الفردية والجماعية، حيث تشهد الجاليات الكبرى في دبي وأبوظبي بين الحين والآخر، نماذج من هذه المشاركات، التي تعرض أبرز نتاجات الفنانين الهنود الذين يقدمون لوحات تبرز المشهد الهندي بوصفه استفاد كثيراً من التجربة المعاصرة في الثقافة التشكيلية العالمية.

في التجربة الفردية، التي تعكس اهتمام التشكيليين الهنود المقيمين في دبي، هناك أمثلة عديدة منها على سبيل المثال، تلك اللوحات التي عرضها نادلل راجيجوت، في عام 2014، وكانت ترسم ملامح دبي في عام 2030، رسم راجيجوت رؤيته للمدينة بلوحات عكست براعته، التي استقاها خلال فترة إقامته الطويلة في دبي منذ منتصف التسعينات، وعبر من خلالها إعجابه بدبي التي أحبها وأدهشته على صعيد منجزها العمراني والحضاري في وقت قصير وعكست محاكاته للواقع من خلال رسم الأحصنة، وعدد من لوحات لعدد من حكام الإمارات وكبار الشيوخ.

تتسم الثقافة الهندية في الإمارات بثراء وتنوع كبيرين، وفي رصد لأحد جوانبها المتعلق بالجالية الثقافية الموجودة في الإمارات، ثمة الكثير مما يمكن رصده، والوقوف عند ملامحه، وذلك لما وفرته الإمارات من سبل مريحة للعيش لجاليات متعددة على أرضها، بما يعزز من أواصر التجانس الثقافي والتكامل بين المواطنين والمقيمين، فها هي الغنائية المسرحية الهندية «نيها دوبي» التي تعيش في دبي منذ عشرين عاماً، تقدم الكثير من المسرحيات، وتنظم عروضاً موسيقية في دبي، بالاشتراك مع مغنين وراد من باكستان، وهي ترى في الثقافة والفن بشكل عام، مناسبة كبيرة للتعلم والمحاكاة، يساعدها على ذلك، ما لمسته من معالم دبي الكثيرة والمبهرة، وهو أمر يمنح الفن والثقافة ألقاً دائماً، وحريصة كبيرة في التعبير ويشاركها في هذا الرأي «دليب بارانجاي»، وهو كاتب وممثل مسرحي هندي، استقر في الإمارات منذ سنوات، ومن خلال عمله في المسرح، وتخصصه فيه كتابة وتمثيلاً وتوجيهاً، شعر بالفرصة الساخنة التي أضاءت ما يمتلكه من فن، لاسيما في مجال التمثيل المسرحي، الذي منحه أيضاً، فرصة أن يكون معروفاً على مستوى أكبر من قبل شريحة واسعة من قاطني دبي.

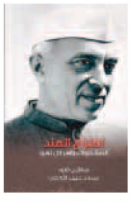

الترجمة معنية بالثقافة الهندية

مشروع «قلم» ترجم أعمالاً لـ10 كتاب إماراتيين إلى الهندية

غلاف كتاب لكمالا داس

«كلمة» نقل الكثير من الروايات والأشعار الهندية إلى العربية

الطريقُ إلى الهند

حبيب الصايغ

كان السفر يعني لآبائنا وأجدادنا، في العصور البعيدة نسبياً، شد الرحال إلى الأراضي المقدسة في الشقيقة الكبرى المملكة العربية السعودية، مكة المكرمة والمدينة المنورة، شرفهما الله، أو الهند، وبالتحديد مدينة بومباي، التي عادت أخيراً إلى اسمها القديم «مومباي». بومباي أو «بمبي» في لغة أجدادنا تعني مباشرة العلاج والتجارة والسياحة وراحة البال، وتعني أيضاً مصاهرة الإماراتيين للهنود منذ عقود وعقود، فكانت «بمبي» دائما نقطة الارتكاز والانطلاق إلى مدن أثيرة وأميرة في الذاكرة الإماراتية، كبنجلور وحيدر آباد، وعبر التقارب مع الأخيرة خصوصاً التي كانت، إلى جانب «بمبي»، مركزاً ثقافياً هندياً وعربياً إسلامياً، تمت هجرات متبادلة معروفة عبر تاريخ العلاقة.

كأنما الهند الشرق والشمس وشلال البهارات المتدفق أبداً من أقاصي الروح إلى أقاصي الروح. كأنما هي جسر لا ينقطع إلا ليتصل من جديد مع النوافذ الأولى المعلقة منذ ألف عام في رأس الحكاية. كأنما الهند نهر حنان وأدمن هواية التسكع في الفراغ المزدحم بين أقاليم الانتظار. كأنما الهند حقيقة من خيال، وخيال من حقيقة. كأنما الهند كتابة طوفان وظل يناى ويدانى أن تجسد، وكأنه التفاتة ظل في فضاء المعلقات. كأنما الهند شمال وأمسكه الجنوب من قدمه حتى لا يسافر أبعد أو يطير أو يتبخر.

وعندما يتذكر الواحد منا، نحن الإماراتيين، الهند، فإنما نتذكر بعض تاريخنا المكتوب في الصحراء برمل الصحراء، وفي البحر بتأتأة أمواجه الصغيرة، قبل أن تتدرب على الكلام. هل الهند إلا الحوار المبهر منذ عهد الغوص بين ذهب الأعراس المكتملة والمستحيلة، وثاني الخليج خصوصاً تلك الدانة الكبيرة المستديرة التي ظلت حتى صباح الغد، الغد الذي لم يأت ولن يأتي ولا يأتي، حلم أميرة هندية لها عينا مهاة وجيد غزالة؟ ليست الهند بالنسبة إلينا، نحن أهل الإمارات، إلا الجهة الوحيدة التي وجدناها في رسائل أجدادنا إلى حبيباتهم البعيدات.

وجدناها أو عثرنا عليها لا فرق، ثم تمسكنا بها أو حاولنا، لعلنا نحتفظ ببعض راحة الماضي، وكل راحة للمستقبل.

ولمتابع نتائج الزيارة التاريخية لرئيس الوزراء الهندي لدولة الإمارات أن ينتهي معنى تكدس الأمل على أرصفة الشوارع المؤدية إلى مفرق الطرق: الضوء بدأ يقترب وبرسم مهرجان اللقاء. الماضي يصافح المستقبل بيد الروح. سالم بن علي العويس وسلطان بن علي العويس يكتبان قصيدة مشتركة في الهند، قصيدة حب، ويستحضران أياماً من التحليق عالياً وعميقاً في تجارة الهند وثقافة الهند، وكتباً من حيدر آباد، وعناوين منحوتة على شكل الشوق من «بمبي»، وأعداداً من مجلة «الرسالة» المصرية لصاحبها أحمد حسن الزيات كانت تصل إلى أهلنا الإماراتيين زادي الهند، شبه المقيمين فيها، إلى بيوتهم المكتنزة بألق من «بمبي»، يفيض فلا تعود تسعه حتى الشرفات العالية.

كان ذلك يحدث في ثلاثينات وأربعينات وخمسينات القرن الماضي، وفي مطلع القرن العشرين نفسه كان شاعر الهند الكبير، وحامل أسرارها ومفاتيح أحاجيها، طاغور، يقوم بزيارة إلى دبي لا يمكن لتاريخ الذوق أن يهملها أو ينساها، وهل لتاريخ حضارة الإنسان أن يتجاوز تلك اللحظة المبهرة الطويلة الممتدة من يوم ميلادها إلى أعياد ميلاد أحفادنا الواقفين على أهبة الوجد والوهج جيلاً بعد جيل؟

وكما كتب شعراء الإمارات الآباء قصائدهم ورسائل شوقهم في الهند، فقد كتب هنود مقيمون في الإمارات، ضمن الجالية الهندية الكريمة بكل أطيافها، عبر العقود والسنين، قصائدهم وقصصهم وروايانهم على أرض الإمارات، وبُذلت جهود شخصية من قبل شعراء وكتاب ونقاد إماراتيين وعرب نحو ترجمة بعضها، وتقديمه إلى القارئ العربي، وفي طليعة من التفت إلى ذلك وبذل جهداً مقدراً في سبيله، الشاعر والمترجم الإماراتي الكبير الدكتور شهاب غانم، والشاعر والكاتب الصحفي اللبناني الذي أقام في الإمارات حيناً من الدهر، أحمد فرحات، ولا ريب في أن هذا العنوان أحوج ما يكون إلى عمل مؤسسي، فما كتبه الهنود بين أرض وسماء الإمارات يعبر أيضاً عن إلهام الكائنات الطالعة، وكأنها أوابد الدهشة بين أرض الإمارات وسمائها.

ماذا بعد؟

بل ماذا قبل؟

الشاعر الإماراتي خالد الراشد اختار أن «يهاجر» إلى الهند ليقيم بين أشجار النخاع في جبال الهمالايا العالية، وشباب الإبداع الذي يؤسس على الدوام علاقة الثقافتين الإماراتية الهندية أقبل، يقبل، وها هي، على سبيل المثال، الدكتورة مريم الشناصي رئيسة مجلس إدارة جمعية الناشرين الإماراتيين، تحمل حقيبة كتبها على ظهرها، وفيها أنواع من إنتاج مبدعي الإمارات، وتسافر، غير مرة، إلى الهند، وتلتقي مبدعي الهند ونقادها وأساتذة جامعاتها، وتحاضر هناك عن أدب الإمارات، أو تتخلم ندوات لنقاد هنود عن أهل الشعر والسرد في بلادنا.

وللمطلوب، إلى ذلك، مرة ثانية وثالثة وعاشرة، جهد مؤسسي من الطرفين، خصوصاً بعد زيارة رئيس الوزراء الهندي ولقائه قيادة الإمارات، ما عُدَّ منعطفاً حقيقياً في علاقة تتطلع إلى أجمل الاحتمالات، وطبيعي أن الثقافة حاضرة هنا، بكل ثقة وقوة، إلى جانب السياسة والاقتصاد، فلا اقتصادي يثمر كما يُراد له، ولا السياسي، في غياب الثقافي.

كما كان الثقافي حاضراً منذ فجر العلاقة فإنه لن يغيب أبداً، فاستعدي يا وزارات يا دوائر يا مراكز ثقافية يا مراكز اجتماعية إماراتية وهندية يا جمعيات يا جامعات يا مدناً يا ضفافاً يا أجنحة يا أمنيات يا آفاقاً.

ونعم.. أسد البحر أحمد بن ماجد الإماراتي الصميم من جلفار ورأس الخيمة، كما اكتشف الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، لم يدل فاسكو دجاما على طريق الهند، لكنه قطعاً ركب شراعه الأزرق، واصلاً أغاني البحر القديمة بأبد الحنين، فبين الإمارات والهند سفن وصلت، وسفن لم تصل، وغرقى، وواصلون، وشغف محيط، وبحر محيط، وبحر عميق عميق.

habibalsayegh778@gmail.com